مجلة علمية نصف سنوية محكمة
تعنى بالسيرة النبوية وأدبياتها

تنشر البحوث بثلاث لغات:
العربية، والإنكليزية، والفرنسية

تصدر عن العتبة العباسية المقدسة
دار الرسول الأعظم ﷺ

السنة الخامسة.. المجلد الخامس.. العدد التاسع
لسنة ٢٠٢٥م ١٤٤٧هـ

نبينا : مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالسيرة النبوية وأدبياتها : تنشر البحوث بثلاث لغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، 2021-
مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنوية،السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد التاسع (2025)
تتضمن ارجاعات بيليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية.
ISSN : 2789-4290
1. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة- 11 هجري--دوريات. 2 .السيرة النبوية--دوريات. 3. كارليل، توماس،1795-1881. كتاب الابطال. 4. الاسلام والاستشراق والمستشرقون. أ. العتبة العباسية المقدسة. دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (كربلاء، العراق)، ب. العنوان.

LCC: BP75.2 N335 2025 VOL. 5 NO. 9
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

ردمد:٤٢٩٠– ٢٧٨٩
ردمد الالكتروني: ٤٣٠٤ – ٢٧٨٩

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية في بغداد (٥٧٦) لسنة (٢٠٢٢م)

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة:٥٦٠٠١
صندوق البريد (ص.ب) :٢٣٢
كربلاء المقدسة / جمهورية العراق
Tel: +964 760 235 5555
http://daralrasul.com
Email: daralrasul@alameedcenter.iq

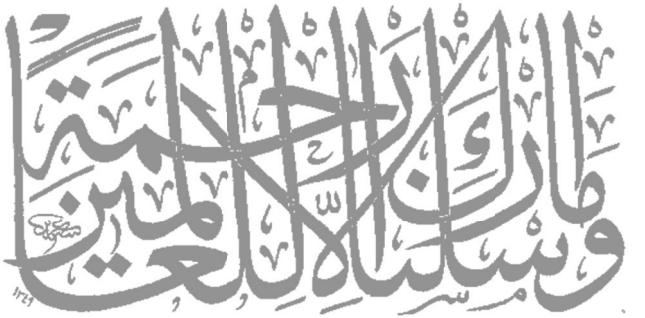

الانبياء (١٠٧)

رئيس التحرير
أ.د. عادل نذير بيري
جامعة كربلاء

مدير التحرير
أ.د شعلان عبد علي اليساري
جامعة بابل

التدقيق اللغوي

تدقيق النص العربي
أ.م.د. أحمد حسن منصور الغانمي
جامعة كربلاء

الترجمة الى اللغة الانكليزية:
أ.م.د. مجتبى محمدعلي يحيى الحلو
جامعة الامام الصادق عليه السلام النجف الاشرف

الترجمة الى اللغة الفرنسية:
جعفر صادق عباس الكنبر
جامعة بغداد

هيأة التحرير

أ.د. أحـــلام عبدالله الحســـن — البحريـن
جـــامعة البحريـــن/ استشـاري إدارة أعمـال وإدارة مـوارد بشـرية

أ.د. جـــــواد النصـــر الله — العـــراق
جـــامعة البصـــرة/كليـــة الاداب/قســـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. حسيـــــن داخل البهادلي — العـــراق
الجامعـــة العـــراقية/كلية الاداب/قسـم التـــاريخ/التاريخ الاسـلامي

أ.د. حسيـــن علـي الشرهانـي — العـــراق
جامعـة ذي قار/كليـة التربيـة للعلـوم الانسانية/قسـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. خالـــــد محـــــــرّم — لبـنـــان
جامعـة بيـروت الاسـلامية / كليـة الشـريعة / قسـم التربيـة الاسـلامية

أ.د. داود ســـلـمان الزبيـــدي — العـــراق
جامعـة بغداد/كليـة ابـن رشـد للعلـوم الانسانية/قسـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. دلال عبـــــــــــاس — لبـنـــان
الجامـــعة اللبـــنانيـــة / الادب المقـــــــــارن

أ.د. سامي حمود الحاج جاسم — العـــراق
الجامعـة المسـتنصرية/كلية التربية/قسـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. صاحـــــب أبـــو جنـــاح — العـــراق
الجـــامعة المستنصـــرية/كليـــة الاداب/قسـم اللغـة العربية/اللغـة

أ.د. عبد الجبـار نـاجي الياســري — العـراق
جامعـة البصـرة/ كليـة الاداب/ قسـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. علـــــي حســـن الدلفي — العـراق
جـــامعة واســـط/كليـــة التـــربية/قسـم اللغـة العربية/اللغـة

أ.د. فلاح حســـــن الاســـدي — العـــراق
الجـــامعة المسـتنصرية/ كليـة الاداب/ قسـم التاريخ/التاريـخ الاسـلامي

أ.د. ليـــث قـابـــل الوائـلي — العـــراق
جـــامعة كـــربلاء/كليـــة التربيـة للعلـوم الانسانية/قسـم اللغـة العربية/اللغـة

أ.د. مهران اسماعيـــــــلي — ايـــران
جامعـة الالهيـات والاديـان / كليـة العقيـدة والاديـان / قسـم الحضـارة الاسـلامية

أ.د. نـــور الـــدين ابـــو لحية — الجزائـــر
جامعـة بـــاتنة/ كليـــة العلـــوم الاسـلامية/ قســـم اصـول الديـن

أ.د. هـــــاشم داخل الدراجـي — العـــراق
جـــامعة ميســـان/كليـــة التربية/قسـم علـوم القرآن/التاريـخ الاسـلامي

الإدارة المالية

عقيل عبدالحسين الياسري

الادارة الفنية

م.د.ياسين خضير عبيس

حسن علي عبد اللطيف المرسومي

الموقع الإلكتروني

أ.م.د. محمد محسن العبادي

م.د. محمد جاسم عبد ابراهيم

عقيـل مسلم الخـزاعي

النشر و التوزيع

محمد خليل الاعرجي

علي مهدي الصائغ

التصميم

حسين عقيل ابو غريب

الإخراج الطباعي

علي ماميثة

قصيدةٌ نُؤَرِّخُ فيها مَجَلَّةَ ((نَبيُّنَا))، وهي مجلَّةٌ عِلْميَّةٌ نِصْفُ سَنَويَّةٍ تُعنَى بالسِّيرةِ النَّبويَّةِ وأدبيَّاتِها تَصدرُ عن دارِ الرسولِ الأعظمِ التَّابعةِ إلى العتبةِ العَبَّاسيَّةِ المقدَّسة

علي الصفار الكربلائي

نَبيُّنَا بِنُورِهِ ظَاهِرُ ... وَهْوَ عَلى أُفْقِ الذُّرَى زَاهِرُ
وَوَصْفُهُ في اللَّوحِ غَنَّتْ بِهِ ... آياتُ ذِكرٍ حَرْفُهَا هَادِرُ
فَهْوَ سِرَاجٌ نَيِّرٌ دَائِمًا ... وَرحمةٌ وَفَيْضُهَا زَاخِرُ
واسوةٌ مَا مثلُهُ أُسْوةٌ ... وَمُرسَلٌ كِتَابُهُ آسِرُ
يَدْعُو إلى اللّهِ بِجَوفِ الدُّجَى ... طه وَفي مِحرَابِهِ سَاهِرُ
وَهْوَ بَشِيرٌ ونَذِيرٌ مَعاً ... وَهْوَ بِأَخْلَاقِ السَّمَا دَائِرُ
سِيرَتُهُ أَرِيجُ جَنَّاتِهِ ... وَجُوُّنَا مِن نَشْرِهِ عَاطِرُ
وَجَاءَ بَعضٌ مُغْرِضٌ شَانِيءٌ ... أو جَاهِلٌ أو مُلحِدٌ كَافِرُ
وَقَالَ مَا قَالَ بِحَقِّ الهُدَى ... مُكذِّبًا فَهْوَ إِذنْ خَاسِرُ
فَأَحْمَدُ المُختَارُ نُورٌ وَمَا ... يَجحُبُهُ لَيلٌ ولا نَاكِرُ
وَمَا عَلَينَا غَيرُ أَنْ نَهتَدِي ... بِالمُصطَفَى وَهْوَ لَنَا جَابِرُ
وننطقُ الحقَّ كما جَاءَنَا ... بِحَقِّ مَنْ بِهِ المَدَى بَاهِرُ
وَنَنْشُرَ السِّيرَةَ مَقْرُونَةً ... بِالحُجَجِ العُلَيَا وَذَا وَافِرُ
وَاليَومَ في ظِلِّ الوَفَا والإبَا ... في ظِلِّ عَبَّاسٍ أَتَى النَّاصِرُ
((نَبيُّنَا)) مَجلَّةٌ هَاهُنَا ... مُتَّسِعَ في إِصْدَارِهَا النَّاظِرُ
تَبْحَثُ فِي سِيرَةِ خَيرِ الوَرَى ... وَنِظْمُنَا لِسَعْيِهَا شَاكِرُ
وَفي لُغَاتٍ ثُلِثَتْ قَدْ بَدَتْ ... تُكْتَبُ وَالقَولُ بِهَا سَائِرُ
مَجلَّةٌ دَارُ الرَّسُولِ لَهَا ... مَصْدَرُ إِشْعَاعٍ وَذَا سَاحِرُ
وَكَفُّ عَبَّاسٍ رَعَى زَبرَهَا ... فَهْوَ لَهَا طُولَ المَدَى نَاشِرُ
زِدْ تِسْعَةً مَجلَّةٌ أُرِّخَتْ: ... ((نَبيُّنَا عُنْوَانُهَا الظَّاهِرُ))

\+ (٩) + ((١١٣+ ١٨٣ +١١٣٧))

دليل الباحث

-تعنى المجلة بنشر البحوث الأصيلة التي تتناول بالدراسة شخص النبي الأعظم ﷺ وسيرته المباركة.

-تخضع البحوث المرسلة إلى التقويم لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت أم رفضت.

-تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الاستلال العالمي(**Turnitin**).

-تنسيق مصادر البحث يكون وفق تنسيق شيكاغو **Chicago full note** ويفضل استخدام برنامج **Mendeley** لكتابة وتنسيق المصادر.

-يُبلّغ الباحث بالقبول أو الرفض لبحثه من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

-يلتزم الباحث بمنهج البحث العلمي المتعارف، وأن لا يكون البحث منشورًا سابقًا ويقدم الباحث تعهدا خاصًا بذلك.

-تستقبل المجلة البحوث الكترونيا على الايميل :

daralrasul@alameedcenter.iq

و ورقيا بنسخة واحدة مع قرص مدمج (**cd**) بخط **simpelied Arabic**.

-ألا يتجاوز عدد كلمات البحث (١٠٠٠٠) كلمة.

-يقدم الباحث ملخصًا لبحثه مع الكلمات المفتاحية.
-تتضمن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث وعنوانه (جهة العمل) ورقم الهاتف والبريد الألكتروني.
-إرفاق السيرة العلمية للباحث.
-تعبر الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها.
-حقوق الطبع والنشر والتوزيع للمجلة او من تخوله.
-يراعى في أسبقية النشر تاريخ تقديم البحث مع مراعاة سياسة المجلة في تنوع البحوث المنشورة.

للتواصل:

Tel: +964 760 235 5555

Email: daralrasul@alameedcenter.iq

دليل المقوِّمين

يراعي المقوّم العلمي ما يأتي :

١- تطابق التخصص العلمي للبحث مع تخصص المقوّم.

٢- أن يكون موضوعيًا دقيقًا في قراءة البحث وتقويمه، وإبداء الملاحظ التي ترتقي بالبحث وتتدارك ما فات صاحبه.

٣- تناغم البحث مع أهداف المجلة في إثارة موضوعات هادفة يحتاج أن يطلع الآخر عليها.

٤- توافر البحث على الضوابط العلمية والمنهجية التي تجعل من البحث أصيلا في ميدانه.

٥- دقة عنوان البحث وتعبيره عن مضمونه.

٦- وجود ملخص وافٍ يعرض لأهمية البحث ومشكلته وأهم نتائجه.

٧- إجراء التقويم بسرية تامة وعدم اطلاع الباحث على التقويم أو التواصل معه.

٨- تدوين التعديلات الرئيسة التي يجب على الباحث الأخذ بها.

٩- سلامة البحث فكريًا وعدم مساسه بالثوابت العقدية.

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تُعنى بالسيرة النبوية وأدبياتها تنشر البحوث بثلاث لغات هي (العربية، والانكليزية، والفرنسية) معتمدة للنشر العلمي والترقيات العلمية لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وفقا للأمر الوزاري
ذي العدد (ب ت ٤/ ٤٠٨٢)
في ٢٢/ ٦/ ٢٠٢٢، وابتداءً من المجلد ١- العدد٢-٢٠٢١

كلمة العدد

الحمـــد لله

الذي أرســـل نبيَّه بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كلِّه، وكفى به شـــاهداً ومبشراً ونذيراً ،

والصلاة والسلام على محمد المصطفى ، الذي أضاءت نبوته العقول ،

وارتفعت برسالته القيم ، وعلى آله الميامين وصحبه المنتجبين .

في كل عـــدد من مجلة نبينا ﷺ ، نجدد الوصل مع الـــسيرة النبوية المباركة، لا بوصفها سرداً ماضوياً فحســـب ، بل بوصفها معيناً متجدداً للفهم ، وساحةً للتأمل ، وميداناً للمراجعة والتحليل العلمي، في وجه ما يثار من إشكالاتٍ أو يطرح من تصورات مغلوطةٍ أو مؤدلجة .

وفي هذا العدد التاسع ، نســـلط الضوء على محاور متعددة تعيد مساءلة السيرة النبوية المباركة في ضوء المعاني الشرعية والسياسية والاجتماعية والفكرية . ففي بحث الهجرة النبوية نعيد قراءة هذه الحادثة المؤَسِّسَة في ضوء المفهوم الشرعي والسياسي ، لنكشـــف أبعادها في بناء الدولة وتثبيت الهوية . وفي قراءة نقدية لصورة الرسول الأعظم ﷺ في الكتابات الغربية حتى زمن الحروب الصليبية، نتتبع ملامح التصوير الغربي لـــه ، بين التحريف والتوظيف ،ونرصد خطورة القراءة المؤدلجة للقـــرآن الكريم والحديث النبوي الشريـــف وما تفرزه من

صدامات سردية تؤثر في

تشكيل الهوية السياسية للإسلام ، ويضم العدد

أيضاً بحثاً في حق الخصوصية في السيرة النبوية المباركة لنظهر كيف

قدَّم النبي الكريم ﷺ أنموذجًا راقيًا لصيانة الكرامة الإنسانية ، ونختم العدد

بقراءة نقدية لصورة النبي ﷺ في كتاب الابطال للمستشرق توماس كارليل ، في

موازنة بين الإنصاف والانبهار ، والمحددات الثقافية في تلقي الآخر.

إننا في هذا العدد وباقي أعداد هذه المجلة ، نواصل سعينا لربط البحث الأكاديمي

بالرسالة النبوية المباركة دفاعًا عنها ، وتفنيدًا لما دُسَّ فيها ، وتثبيتاً لقيمها في واقع

يضجُّ بالتحريف والتأويل المغرض.

نســـأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله في ميزان من خدم سنة نبيه ﷺ

وبذل وسعه في الذبِّ عنها .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المحتويات

١٧ الهجرة النبويّة المباركة إلى المدينة المنوّرة
-المفهوم الشرعي والسياسي-
أ.د. عبد الكريم خليفة حسن الشبلي / تونس

٤١ صورة الرسول الأعظم ﷺ في الكتابات الغربية
حتى زمن الحروب الصليبية
أ.د. ناصر عبد الرزاق عبد الرحمن العنزي/ العراق

٦٧ القراءة المؤدلجة للقرآن الكريم والحديث النبوي صدام السرديات والنصوص في تشكيل الهوية السياسية للإسلام
أ.م.د.مجتبى محمدعلي يحيى الحلو/ العراق

٩٥ حق الخصوصية في السيرة النبوية المباركة
د. مشتاق عبدمناف محمدتقي الحلو/ العراق

١٣٥ محمد رسول الله ﷺ في كتاب الأبطال للمستشرق توماس كارليل
– دراسة نقدية –
م. د. آزر عبد الكاظم إسماعيل السلطاني/ العراق

الهجرة النبويّة المباركة إلى المدينة المنوّرة
-المفهوم الشرعي والسياسي-

أ.د. عبد الكريم خليفة حسن الشبلي

قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الانسانية- جامعة جندوبة - تونس
chebliabdelkrim@yahoo.com

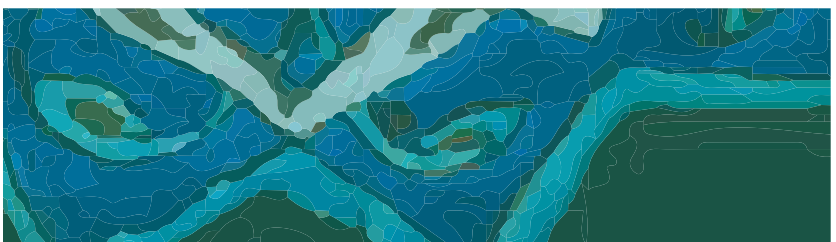

مجلة نبيئنا
Journal Homepage: http://nabiyuna.com
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)

الهجرة النبويّة المباركة إلى المدينة المنوّرة
-المفهوم الشرعي والسياسي-

عبد الكريم خليفة حسن الشبلي [١]

١ جامعة جندوبة / كلية الآداب والعلوم الانسانية / قسم التاريخ، تونس ؛

chebliabdelkrim@yahoo.com

دكتوراه في التاريخ الاسلامي / استاذ

تاريخ التسلّم : ٤ / ٢/ ٢٠٢٥
تاريخ القبول : ١٩/ ٤/ ٢٠٢٥
تاريخ النشر : ١ / ٦ / ٢٠٢٥
السنة(٥)-المجلد(٥)
العدد(٩)
جمادي الثاني ١٤٤٧هـ
كانون الأول ٢٠٢٥م
DOI: 10.55568/n.v5i9.17-39

CC BY NC

الملخص

للهجرة النبوية رمزية خاصة وقيمة عظيمة في التاريخ الإسلامي فضلاً عن السيرة النبوية. فلم تكن الهجرة النبويّة إلى المدينة مجرّد ردّة فعل لاضطهاد قريش، بل كانت نقلة جوهرية في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد قَرَنَ الله تعالى بين الهجرة والجهاد والولاء أو الولاية للمشروع الرسالي. وخطّط لها النبيّ ﷺ لتكون المدينة قاعدة ارتكاز للدعوة والدولة الإسلامية. المدينة المنورة دار الهجرة، دستورها الصحيفة وركائزها ثلاثة: الأمة الواحدة، والوطن أو المدينة، وسلطة النبي ﷺ يرجع إليه الجميع، وهو لم يضطر لاستخدام القوة ليفرض هذه النظم على العرب بدوها وحضرها، ولم يغصب أحدًا عليها وخاصة من اليهود والمنافقين الذين مردوا على النفاق وكابروا في رفض

الهجرة فتخلّفوا حول المدينة. وامتنعوا عن الالتحاق بالأمّة الإسلامية التي أسسها النبي ﷺ عنوانًا جامعًا جديدًا للمجتمع الإسلامي..

فكيف يمكن قراءة الهجرة النبوية سياسيًّا وشرعيًّا في ضوء القرآن الكريم وصحيح روايات أهل البيت عليهم السلام؟

المخطط

١- مفهوم الهجرة النبوية

٢- رمزية الهجرة النبوية

٣- التنظيم النبوي لمجتمع دار الهجرة واقتصادها

الكلمات المفتاحية: الهجرة النبوية - دار الهجرة - الصحيفة - الأمة - المؤاخاة - التاريخ الإسلامي

المقدمة

تعرّضت رواية السيرة العظيمة للرسول الأكرم ﷺ للمحاصرة ومنع التدوين إلى منتصف القرن ٢هـ/ ٨م، فشابها الكثير من التحريف والافتراء والتشويه على أيدي وُعّاظ السلاطين؛ خدمة لأهوائهم وشرعنة وتبريرًا لما اقترفه أولياؤهم من انحرافات، دون أن يتورّعوا من النيل من أعظم شخصيّة دينية وقيادية في التاريخ، وتشويه سيرته عمدًا أو بشكل غير مباشر*، عبر دسِّ نصوص مُختَلقة في كتب السيرة والتاريخ تُسيء إلى صورة الرسول ﷺ وتنسب إليه ما لا يليق به، وأبرز مثال على ذلك روايات الإسرائيليات. فنجد أمامنا مصادر جزئية لا تغطّي السيرة بشكل كامل، فضلا عن تضارب رواياتها وعدم انسجامها موضوعيًّا وأيديولوجيّا، تلقّفَها الاستشراق ليسيء للإسلام وللنبي ﷺ.

من هنا يحتاج المؤرخ المُنصف إلى تجاوز السردية الرسمية وتفكيك الظاهرة التاريخية وتفسيرها متسلّحًا بمنهج علميّ موضوعيّ، ينطلق من قراءة الوثيقة التاريخية (شفوية أو مكتوبة أو مصوّرة أو أثريّة..). يتميّز المؤرخ من غيره ، بمنهجيّة علمية صارمة نحتاجها في دراسة السيرة النبوية، باعتماد منهج استقرائي يستقصي مختلف الحيثيّات والظرفيّات التي حفّت بأحداثها مهما قلّ أو علا شأنها: اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية وعسكرية.. لفهم إطار الحدث التاريخي وتفاصيله وأبعاده: الزمان والمكان والفاعل والفعل.. من ناحية معرفية ومنهجية تتباين القراءات الضيّقة عن مناهج الفكر المعاصر وأدواته، فتبقى قاصرة عن فهم السنن التاريخية ومسيرة التاريخ الإنساني، فنجد أنفسنا اليوم أمام: تقليد الاستشراق وترديد إسقاطاته ونظرياته وفق مقولة «المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب»[١].. وبين استنساخ المصادر السابقة ونقد رواياتها من دون تمحيص، يغلب هذا المنحى على الكتابات العربية القديمة،

---

١ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة (١٩٩٠)، . ص١٤٢.

* مثال ذلك إشاعة شبهة محاولة الرسول ﷺ الانتحار أمام صدمة الوحي!! أو إشاعة محاولة التقرّب إلى آلهة المشركين عند نزول سورة النجم وذكر اللات والعزى!! كما أن تدوين ابن إسحاق للسيرة النبوية كان بطلب من أبي جعفر المنصور الذي رفض نسختها الأولى لغياب أي ذكر لجدهم العباس بن عبد المطلب! عبد الكريم الشبلي،"استراتيجية قريش الإعلامية ضد الإسلام" مداد، جامعة المصطفى، عدد١ سنة ٢٠٠٧. ص٣٤.

فيندر فيها التحقق من صحة الأخبار فضلا عن مناقشتها، واكتفى أكثرها بالسرد ونقل ما جمع من أخبار توافق السائد والمذهب[٢].

الهجرة النبوية هي أهمّ مراحل السيرة، طالها اللّبس والتحريف وأُسبغ عليها عنوان الجهاد، وأصبح كلُّ مهاجر مجاهداً، لإضفاء الشرعية على هجرة القبائل العربية إلى خارج الجزيرة وإقحامها في حركة الغزوات الكبرى، التي صُوّرت وكأنّها فتوحات إسلامية ومجد عظيم، لتبرير نمط إنتاج المغازي الذي انتهجته دولة الخلافة والأمويين خاصة.. فكيف يمكن قراءة الهجرة النبوية سياسيًّا وشرعيًّا في ضوء القرآن الكريم وصحيح روايات أهل البيت عليهم السلام؟

١ – مفهوم الهجرة النبوية

قَرَنَ الله تعالى بين الهجرة والجهاد، والولاء أو الولاية للمشروع الرسالي. فلم تكن الهجرة النبويّة إلى المدينة مجرّد ردّة فعل لاضطهاد قريش، بل كانت نقلة جوهرية في تاريخ الدعوة الإسلامية خطّط لها النبيّ صلى الله عليه وآله لتكون المدينة قاعدة ارتكاز للدعوة والدولة الإسلامية. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا**﴾ (آل عمران: ٧٢).

لم تَعُد مكة مكاناً صالحاً للدعوة، ولا يُرجى دخول فئات جديدة من قريش في الدين الجديد بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة في مكة، فكان لا بُدَّ من الانتقال إلى مركز جديد ينتشر فيه الإسلام بحريّة بعيداً عن ضغوط قريش ومضايقاتها. وكان اختيار النبيّ صلى الله عليه وآله ليثرب بسبب بعدها نسبيًّا عن مكّة، ما يجعلها بمأمن من هجمات قريش المفاجئة والمباغتة، ولقربها وإشرافها على طريق تجارة قريش نحو الشام، لتشكّل تهديدًا واضحًا وخطرًا محدقًا يهدّد بضرب مصالحها.. ويضطرّها لتغيير مسلكها ووجهتها خوفًا من تعرّض المسلمين لقوافلها والتحرّش بها، مع تكبّد مزيد مشقّة وأكبر تكلفة. وقريش لن تسكت أمام أي نكبة تصيب تجارتهم وأرباحهم ومنافعهم المادية. ولن تسكت عن فرض النبيّ صلى الله عليه وآله سيطرته وممارسة نوع من الضغط السياسيّ والاقتصاديّ والعسكريّ على

٢ سالمة محمود محمد عبد القادر، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة (دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، . ص ١٢٠-١٢١.

قريش. وكانت يثرب غنيّة بإمكانيّاتها الزراعيّة، وتنوّع الحرف التي برع فيها أهلها بما يُمكِّنها من منافسة مكة مع قدوم المهاجرين إليها، ويؤمّن لها المقاومة في حال التعرُّض للحصار والضغوط الاقتصاديّة من المشركين. ويمكنها أن تشكّل مركزًا اقتصاديّاً منافسًا لمكة لولا التنازع القبليّ المحموم بين عرب الأوس والخزرج وبين يهود قريظة والنضير وقينقاع. وكان الأنصار من الأوس والخزرج يتطلّعون إلى قائد يلتفّون حوله، ينزع عنها العصبيّات المتجذّرة، ويقطع إحن الجاهلية المقيتة وأضغانها، وكان اليهود يستفتحون عليهم وينتظرون النبي الخاتم ليركبوهم! (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) (البقرة:٨٩) * [٣]..

حظيت المدينة بمقوّمات مناسبة للمشروع النبوي، إذ كانت محاطةً بعدد من الحواجز الطبيعية التي وفّرت لها نوعاً من التحصين والمنعة، ولم تكن مكشوفة سوى من الجهة الشمالية التي حفر فيها النبيﷺ الخندق لاحقاً، وهي صفات لم تكن موجودة في غيرها من مدن الحجاز. وتُعد كذلك ذات موقع استراتيجي مهم ومتميّز، على طريق القوافل التجاريّة المتّجهة إلى الشام، مما يتيح للمسلمين مراقبة حركة تلك القوافل، وممارسة ضغوطات مختلفة على أصحابها اقتصاديّا وأمنيّا بتهديدها عند الحاجة، وفعلا أفاد المسلمون من هذا الموقع الاستراتيجي في الضغط على قريش ومحاربتها نفسيًّا واقتصاديًّا وربما استفزازها إلى حدّ استنزاف مواردها ودفعها إلى المواجهة. والملاحظ أنّها تقع على ٤١٠ كلم شمال مكة، ولئن بدت لنا قريبة فإنها تعدّ بعيدة نسبيًّا بمقاييس عصر الرسالة، لكنّها أقرب المدن إلى مكة، اختارها النبيّﷺ لما لها من مقوّمات جد مناسبة للدعوة الإسلامية ومشروعه الرسالي، ولم يكن اختيارًا عشوائيا، إذ كان مجتمع يثرب متنوّعًا ومنفتحًا تنازعته كتلة يهودية وازنة اقتصاديا واجتماعيا تنتظر «المنقذ» المخلّص، ويستفتحون به على الأوس والخزرج الكتلة العربية المستضعفة، مما جعلهم يتقبّلون الدعوة الإسلامية منذ المرحلة المكية. عمل النبيّﷺ طيلة ثلاثة مواسم من الحج على لقاء وفودها وإعدادهم وأخذ العهد عليهم ومبايعتهم

٣ عبد الكريم الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، عمل مرقون، ٢٠٢٤، . ص٨٥-٩٢.
* راجع الصراع بين العرب واليهود في يثرب قبل الإسلام.

في العقبة ثم تأكيد بيعتهم في الثانية[٤] [٥]. ليهاجر إليهم النبي ﷺ ثاني اثنين، فاستقبلوه قائدا وزعيما عليهم، ولم تُستلّ السيوف ولا أهرقت الدماء، ولم يفرض عليهم الدخول في الإسلام ولم يشترط عليهم أو يُطالبهم بقتال إلى حد معركة بدر. ولم يكن الغزو مطروحًا أمام النبي ﷺ آنذاك سوى خطر التهديدات القرشية.. فما المفهوم القرآني للهجرة؟

الهجرة لغة انتقال الأفراد من بلدهم إلى آخر ليتّخذوه وطنًا بديلا، أما اصطلاحًا فللهجرة أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية..[٦] واختصّ المصطلح بتوصيف حركة الرسول ﷺ وسلم من مكة إلى المدينة، وهي الهجرة بامتياز، لِما صاحب رحلته من مخاطر وتحديات وجُهد نفسي ومادي، توّجت باستقبال الأنصار له نبيًّا وقائدًا، وهذا نصر وتأييد إلهي كبير* [٧]، لما أفضى إليه من إنجازات عظيمة سياسية واجتماعية وعسكرية فضلا عن الدينية، في وقت قياسي لم يتسنَّ لأحد من القادة في تاريخ الإنسانية.

ولأهميّة الهجرة بوصفها فعلاً وحراكًا دينيًّا وسياسيًّا وتاريخيًّا تأسيسيًّا.. جاء التأكيد القرآني والترغيب النبوي في الهجرة لكل أنواع المستضعفين الذين اضطهدوا في وطنهم وخاصة دينيًا، ويرقى حكمها إلى درجة الوجوب، على أن تكون الهجرة خالصة لله وحده، لمعاضدة الرسول ﷺ لإتمام الدعوة** [٨]. وفُضّل المهاجرون على غيرهم من المؤمنين من الأنصار وذوي السابقة.. فأيّ هجرة ترقى إلى قيمة الهجرة النبوية ومكانتها؟.

---

٤ الحميري ابن هشام أبو محمد عبد الملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ت الأبياري، ج ٢ (١٩٥٥)، . ص٦٨.

٥ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، . ص١١٩.

٦ التوزري، ابن منظور أبو الفضل (ت٧١١هـ)، لسان العرب المحيط مادة (هجر)، ترتيب خياط (دار صادر بيروت).

٧ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، . ص ٨٧.

٨ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، . ص١١٨-١٢٥.

* قال تعالى(**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ.. فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) التوبة: ٤٠.

** يحتاج مبحث الهجرة إلى توسّع يخرجنا عن مقصد البحث، وبالعودة إلى القرآن الكريم تكرر استعمال المصطلح مرات عديدة، يمكن استخراج معاني مختلفة نحاول الإفادة منها.

قال تعالى في بيان مكانة المهاجرين في سبيله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة :٢١٨)، ﴿فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ (آل عمران : ١٩٥). وأثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار، وهؤلاء كانت هجرتهم معنويّة؛ لأنّهم أحسنوا استقبال ونصرة النبي ﷺ وأصحابه في ظل عداوة بقية القبائل، ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠) *. ويُروى عن الرسول ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدُنْيا يصيبُها أوْ امرأة ينكحُها فهجرته إلى ما هاجر إليه» [١٠٩].

فحقيقة الهجرة هي هجْر ونبْذ تحجّر الجاهلية وأوثانها، وكسر قيود أعرافها وروابطها القائمة على العصبية. ولم تكن الهجرة النبوية مجرّد فرار بالنفس أو انتقال جسدي من محلّ إلى آخر، بل كانت في الوقت نفسه حراكًا سياسيًّا واجتماعيًّا، برفض الواقع القرشي الذي عبّر عنه القرآن الكريم ﴿بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٢)، والدخول في المشروع النبوي والانخراط في أمّته، ومن ثم فإنّ المؤمنين الذين قعدوا ولم يهاجروا لا يعَدّون سياسيا من أمّته وولايته حتّى يهاجروا، وبدا ذلك ضروريّا خاصة في المرحلة التأسيسية كما نصّت عليه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا﴾ ** [١١]. وعلى الرغم من أنّ أمر الهجرة كان موكولا لكل فرد حسب ظروفه، مع أنّ المسلمين كانوا في قلّة عدد، إلا أن القرآن الكريم والصحيفة(دستور المدينة)، كانا واضحيْن في إعلان أن أفراد الأمّة هم فقط الذين انتقلوا

٩ البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (دار ابن كثير). ح٣٨٩٨

١٠ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، صحيح مسلم (دار الكتب العلمية). ح ١٩٠٧.

١١ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، . ١١٧.

* وأشار القرآن إلى مقام الأنصار على الرغم من أنّ الهجرة كانت عندهم انظر مثلا سورة الحشر آية ٩.

** الآية ٧٢ من سورة الأنفال التي نزلت في بداية المرحلة المدنية السنة الثانية للهجرة بمناسبة معركة بدر. وفي الآيات الموالية بيان للمعاني السياسية والاجتماعية للوَلاية للهجرة إلى المدينة والأمة المحمّدية.

إلى المدينة المنوّرة، وأنّ كل من تخلّف عنه لا يعدّ من أفراد الأمّة التي حصرت في الآية نفسها﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ**﴾، وكان رسول الله ﷺ يتأسف على من تخلّف منهم ومات بمكة[١٢] [١٣].. إذ تبيّن لنا بعض قيمة الهجرة النبوية معاناةُ النبي ﷺ من شدّة الحصار والملاحقة والمشقة الشديدة وشدة الطلب وقلة الناصر، وشراه الإمام علي عليه السلام بنفسه فاستخلفه على أهله، وبات على فراشه، ليخرج من مكة متخفّيا مترقّبا، ثاني اثنين مصطحبا معه مرافقًا دليلاً.

وقع تقييد مفهوم الهجرة بعد فتح مكة بأنّ الهجرة الواجبة لا تكون إلا بقيْد الجهاد، بدليل «إذا استنفرتم فانفروا». وفي محاججة الإمام علي عليه السلام لمعاوية: «وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أخوك (يزيد)» [١٤]*، والواضح أنّ الهجرة فقدت قيمتها وفضلها بعد فتح مكة وتمكُّن الإسلام وتوافد القبائل العربية على المدينة لمبايعة النبي ﷺ؛ ولذا تكررت الأحاديث عن رسول الله ﷺ:« لا هجرة بعد الفتح»، أو «بعد فتح مكة» [١٥] [١٦] . أو:« لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» [١٧] [١٨] [١٩] [٢٠]. فلا تنقطع الهجرة عبر التاريخ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ:« أيها الناس هاجروا وتمسكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد» [٢١] [٢٢]. وروي عن الإمام

---

١٢ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، . ص٦٨.

١٣ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، . ص١١٩.

١٤ ابن أبي الحديد ابن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥)، . الكتاب ٦٤.

١٥ المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، صححه: الشيخ صفوة السقا، ط٥،ج١٦ (مؤسسة الرسالة)، ص٤٦٣٠١-٤٦٣٢٤-٤٦٣٧٨-٤٦٢٥١ .

١٦ الريشهري محمدي، ميزان الحكمة (مكتب الاعلام الاسلامي)، . ص٣٤٢٩.

١٧ علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ص ٤٦٣٠١-٤٦٣٢٤-٤٦٣٧٨-٤٦٢٥١

١٨ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ح٢٧٨٣.

١٩ الحسين، صحيح مسلم ح١٣٥٣.

٢٠ الريشهري، ميزان الحكمة، . ص٣٤٢٩.

٢١ علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ص ٤٦٢٦٠-٤٦٢٤٨-٤٦٢٧٤.

٢٢ الريشهري، ميزان الحكمة، . ص٣٤٢٩.

* والظاهر أنّ المقصود هنا بالهجرة الالتحاق بالنبي في المدينة المنوّرة ساعة العسرة.

الباقر عليه السلام: «من دخل في الإسلام طوعا فهو مهاجر» [٢٣] [٢٤]. فجوهر الهجرة مفارقةُ الكفر والشرك والظلم والاستكبار والالتحاق جسدًا وروحًا بالإسلام سواء بالمدينة المنوّرة عندما كان النبي صلى الله عليه وآله في حاجة ماسّة لهم.. أو بعد فتح مكة وتحقّق الأمن بشرط النية وقصد الإسلام، فقد انتفت خصوصية الهجرة إلى المدينة النبوية وفضلها ودرجتها العليّة، وأُسقط واجب الهجرة وفضلها.

اشترط الرسول صلى الله عليه وآله في الهجرة دفع خطر الكفار: «لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، و«لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل» [٢٥] [٢٦]، ولذا حدد الإمام علي عليه السلام: «الهجرة قائمة على حدها الأول، ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مستسر الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد [إلا] بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه» [٢٧] [٢٨].

اللافت للانتباه توجيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى البعد الروحي والإيماني لمفهوم الهجرة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله «الهجرة هجرتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله تعالى»، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «من دخل في الإسلام طوعا فهو مهاجر»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من ولد في الإسلام فهو عربي، ومن دخل فيه بعدما كبر فهو مهاجر» [٢٩] [٣٠]. وفي ذلك ردّ كافٍ على التحريف والتوظيف السياسي والعسكري لمفهوم الهجرة.. علما أنّ الخلفاء والأمويين انخرطوا في حركة المغازي الكبرى، ليسود منحى سياسي وجهادي اختزل الهجرة في بعدها العسكري.. وقد روي هذا الحديث بحسب بعضهم؛ لأنه لم يرُق للأمويين الذين أسلموا بعد الفتح، فشرعوا الهجرة نحو الأمصار والبلدان المفتوحة. وقد تمّ توظيف الهجرة سياسيا

٢٣ الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، ت علي أكبر الغفاري، ج٨ (دار الكتاب الإسلامية طهران)، . ص١٢٦-١٤٨.
٢٤ الريشهري، ميزان الحكمة، . ص٣٤٢٩.
٢٥ علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ص٤٦٢٦٠-٤٦٢٤٨-٤٦٢٧٤.
٢٦ الريشهري، ميزان الحكمة، . ص٣٤٢٩.
٢٧ المدائني(ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة الخطبة ١٨٩.
٢٨ المجلسيّ محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧ (دار الكتب الإسلاميّة)، . ص٩٩.
٢٩ القمي محمد بن علي ابن بابويه، معاني الأخبار، (مكتبة الصدوق. ٣: ٢٣٩. .
٣٠ الريشهري، ميزان الحكمة، . ص٣٤٢٩.

بعد وفاة الرسول ﷺ لدفع العرب للهجرة بزخم كبير إلى خارج الجزيرة العربية نحو الأمصار والبلدان المفتوحة، للمشاركة في نشاط المغازي تحت عنوان الجهاد، وعدّت بنوع من المغالطة هجرة واجبة! * [٣١].

وربما هاجر المسلم فراراً بدينه وعقيدته، حتى لا يردّه الحاكم الكافر إلى الكفر، أو فراراً من ظلم اجتماعي أو اقتصادي لحق به وخشي على دينه، وهي هجرة واجبة لقوله تعالى﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً. إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾ (النساء: ٩٧-٩٨)، وكذلك شجّع على الهجرة لأسباب اقتصاديّة ﴿**وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (النساء: ١٠٠).

٢- رمزية الهجرة النبوية

تعددت أسباب الهجرة وأنواعها.. لكنّ الهجرة النبويّة شكّلت حدثا تاريخيّا تأسيسيّا وحركة ثوريّة رافضة لحياة الجاهلية، ولها رمزيّتها الخاصة وقد أفاضت مفاهيم إسلامية تأسيسيّة تعلّقت بدار الهجرة، وشكْل الأمة من مواطنيها، وصحيفة المدينة الدستور المنظم لعلاقاتهم وأجواء إعلان التاريخ الإسلامي..

فالمقصود بالمدينة دار الهجرة التي حثّ الرسول ﷺ أصحابه على الهجرة إليها والالتحاق بها ليس بمجرّد السفر من رقعة أرضية إلى مجال يثرب الضيّق، المقصود من الهجرة التعلّق القلبي بالمشروع النبوي الرسالي والالتحاق به جسدًا وروحًا.. وليشجّع النبيُّ العرب على الهجرة رفع

٣١ محمد عبد الحي محمد شعبان، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ٢٠٠٨، . ص٢٣.
* أدّت حركة المغازي إلى موجات "هجرة سامية كبرى" بعبارة المستشرق الإيطالي كايتاني الذي اختزل الإسلام والمغازي تحت هذا العنوان.

شعار المدينة، من التمدّن والحضر، وعاب البداوة وهاجم الأعراب الذين كانوا يحومون حول المدينة دون أن يلتحقوا بها أو تتعلّق بها قلوبهم فلا يُعدّون من الأمّة. وأعلن النبي ﷺ يثرب مدينة منوّرة وطيبة، دارًا للهجرة ومركزًا وعاصمة للحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمسلمين..

فمن أهداف الهجرة تأسيس الأمّة الإسلامية العنوان الجامع الجديد للمجتمع الإسلامي، ورابطة أوسع وأوثق من مختلف مستويات القبيلة التي أُسّست على العصبية والقومية الضيّقة.. في حين أُسّست الأمّة الفتيّة على قيم اجتماعية دينية وإنسانيّة جديدة فوق رابطة الولاء القبلي والعصبية الجاهلية، دون أن تلغي أو تتنكّر لروابط القرابة بالنسب، بل تهذّبها على أساس المؤاخاة في الله والمواطنة ضمن حرم المدينة، والولاية بين المؤمنين أفراد الأمة، الذين كانوا سواسية على قدم المساواة على أساس رابطة المؤاخاة أو الأخوّة في الدين، وهي من أهم المبادئ الثورية التي شرّعها الإسلام لتقويض عُرى الجاهلية، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات: ١٣)، ووصف أفراد الأمّة المسلمة بأنّهم (بعضهم أولياء بعض) [٣٢] [٣٣]. ومن تمام الهجرة ألا يرتدّ المهاجر للعيش في البادية أو في مكة قبل فتحها وتصبح دار إسلام.

ابتكر الرسول ﷺ أوّل ميثاق ودستور وأعظم عقد ووثيقة في تاريخ الإسلام، عرف بصحيفة أو دستور المدينة المنوّرة* [٣٤]. وهي تعد أول عمل تأسيسي قام به الرسول ﷺ بمجرد أن استقر به المقام في المدينة، وهي ترجمة سياسية اجتماعية لفعل الهجرة النبوية؛ لأنّها تفعيل للقيم والمبادئ الرسالية التي دعا إليها، وتأسيس لمشروعه الثوري في إطار دولة الإسلام في المدينة وسيادته،

٣٢ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ص٧٧.

٣٣ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٣٤.

٣٤ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، . ص١٤٤-١٤٥.

* وردت الوثيقة لدى ابن اسحاق كتجميع لشروط ومواثيق أخذها الرسول ﷺ على مختلف الفئات على مراحل مختلفة بدأت ببيعة العقبة وامتدت إلى ما بعد بدر. وقيل إنها كانت مكتوبة في أديم خولاني عند رافع بن خديج ثم انتقل إلى مروان بن الحكم. لم يذكر ابن إسحاق سنده لكنها ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة؛لأن أسلوب الوثيقة ينمّ بأصالتها ونصوصها مكوّنة من عبارات قرآنية وتعابير رسالية تعكس مجتمع دار الهجرة وعصر الرسول ﷺ. منتغمري وات، محمد في المدينة، ٥٤-٦٧.

وتنظيم العلاقات في المجتمع الجديد للمدينة النبوية، بين فئاته المختلفة وما يترتب من حقوق وواجبات على كل فئة لتحقيق تماسك المجتمع ووحدته ودفع الدعوة للإسلام * [٣٥]..

تضمنت الصحيفة بوصفها عقدًا سياسيًّا اجتماعيًّا مصطلح الأمة مفهومًا قرآنيًّا جديدًا في تاريخ الجزيرة العربية، لها معانٍ عظيمة. أطلَقت الصحيفة على المجتمع الإسلامي مفهوم الأمة الواحدة التي تضم المسلمين مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم فلحق بهم، أمّة واحدة من دون الناس، نوّه بها القرآن الكريم في أكثر من آية، فوصفها بأنها أمة وسط وأمة واحدة وأمة شاهدة وخير أمة إذا التزمت.. ﴿**إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء: ٩٢)؛ وقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)(البقرة :١٤٣)؛ وتكررت الآية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ (آل عمران: ١١٠)؛ (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) (المؤمنون: ٥٣).

الأمّة لغة هي الجماعة الكبيرة التي يجمعها رابط الدين الواحد أو إطار الزمان والمكان الواحد. وقال ابن منظور في اللسان: «أمّة الرجل: قومه. والأمة بمعنى مأمومة اشتقت من الأَم بفتح الهمزة»[٣٦]. أما اصطلاحا، فالأمّة من الناس الجماعة العظيمة التي تنتمي إلى أصل عرقي واحد، يشترك أفرادها في اللغة أو التاريخ أو مصالح كبرى واحدة، فضلا عن الوجود الجغرافي والتاريخي لقرون طويلة في أرض بعينها. ويقصد بالأُمة NATION الفِرق العديدة التي تجمعها جامعة، ويقال للمسلمين أمة محمد لأنهم اجتمعوا على الإيمان بنبوّة محمدﷺ. تكررت الأمة ٤٧ مرة في القرآن وحملت معاني عديدة، يهمّنا منها هنا التوصيف الإلهي للأمّة التي أسّسها النبيﷺ بكونها أمة واحدة ووسطًا وشهيدة.. وبهذا العنوان الجامع الجديد نقل الرسولﷺ قومه من شعارات القبيلة كالعصبية والثأر والتعصّب لها ولروابط الدم والولاء والحلف، ومن الطريف أنّ القرآن يصف هذه المجموعة كذلك بالأمة ﴿**إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾(الزخرف:٢٢).

---

٣٥ القادر، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة، ص١٢٨.

٣٦ ابن منظور أبو الفضل التوزري (ت٧١١هـ)، لسان العرب المحيط، ترتيب خياط،مادة(أمم) (دار صادر بيروت).

* عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، نشأ في البصرة وتوفي بمصر، روى السيرة النبوية عن ابن اسحاق.

ورفع شعار الأمة الواحدة الجامع لكل أهل دار الهجرة الذين التحقوا بالمشروع الرسالي المحمدي واعتنقوا الدين الجديد، ومن تبعهم ولحق بهم. واندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم في هذه الجماعة التي ترتبط فيما بينها برابطة الإسلام، يتكافلون فيما بينهم، وينصرون المظلوم على الظالم.. فانصهرت بطون الأوس والخزرج لأول مرة في جماعة الأنصار، وانصهر الأنصار والمهاجرون في أمة واحدة تربط أفرادها رابطة العقيدة والأخوة بديلا عن عصبية الجاهلية، فولاؤهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وليس للقبيلة، واحتكامُهم للشرع والقائم على تطبيقه وليس للعرف. وهم يتمايزون بذلك كله على غيرهم من المسلمين (من دون الناس) أي من غير أهل المدينة المنورة، من الذين تراخوا وتثاقلوا عن الالتحاق بدار الهجرة، فلا يعدّون مواطنين من الأمّة، إذ نصت الآية الكريمة على أن ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا**﴾ (الأنفال: ٧٢).

راعت صحيفة المدينة المنورة خصوصية مجتمع يثرب وتنوعه، فعدّت من تهوّد من عرب الأوس والخزرج من مواطني الدولة الإسلامية وعنصرًا من عناصرها أمّة على حدة، «وأنّ من تبعنا من اليهود فإن له النّصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم»، فالإسلام عدّ أهل الكتاب الذين يعيشون في رحابه ويحترمون الدستور، مواطنين بالمصطلح المعاصر، وأنهم طائفة مع المؤمنين ضمن الأمة الواحدة، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم «وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين»[٣٧ ٣٨]

تدلّ الصحيفة بوضوح وجلاء على عبقرية فذّة في صياغة موادها، وتحديد علاقات مختلف الأطراف ببعضها، وكانت موادها مترابطة وشاملة، وتصلح أن تكون أساسا للنهوض بالمدينة دار الهجرة، كفلت الصحيفة حرية العقيدة والعبادة وحق الأمن.. فحرية الدين مكفولة «للمسلمين

٣٧ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ص٣٤٩.
٣٨ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٧.

دينهم ولليهود دينهم»، و«وإن اليهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة»، وقال تعالى: ﴿**لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦) [٣٩]. ونصّت الصحيفة على تحقيق العدالة ومبدأ المساواة بين جميع أفراد الأمة في دار الهجرة، «أن ذمة الله واحدة»، وأن المسلمين «يجير عليهم أدناهم»، وأن«بعضهم موالي بعض من دون الناس»..

أدّت المؤاخاة في المدينة إلى مزيدٍ من التلاحم بين المهاجرين والأنصار إلى حد التوارث، دون تفكيك روابط القرابة بالنسب وصلات الرحم التي وظفت لتمتين الأواصر بين أفراد الأمة وتيسير تطبيق النظام، ولم يلغِ أعراف المجتمع وقيمه النبيلة نهائيا لكي يتماسك البناء الاجتماعي السياسي وينتشر الأمن والسلام، وينتقل الناس من الفكر القبلي إلى فكر الدولة والمجتمع المدني، بل دعّم هذه العلاقات القبلية بقيم الإنسانية والانضباط والنظام تحت عنوان الوَلاية. وهذا ما أسهم في تحقيق الانتصارات الكبرى في بدر والخندق وغيرها على الرغم من قلّة العدد والعتاد.

من أهم المفاهيم الإنسانية الجديدة التي طرحتها الصحيفة المرجعيّة العليا لله ورسوله، فجعلت السلطة العليا ومرجع الفصل في كل الأمور بالمدينة يعود إلى الله تعالى ورسوله ﷺ «وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردّه إلى الله وإلى محمد ﷺ» [٤٠]، والمغزى من ذلك تأكيد سلطة عليا وقيادة جامعة مركزيّة وموحّدة للأمة، تهيمن على المدينة وتفصل في الخلافات، درءًا لتزاحم السلطات الثلاث: التشريعية والقضائية والتنفيذية، من جراء تعددها في الداخل، فكان رسول الله ﷺ حريصًا على تنفيذ أوامر الله في دولته الجديدة، وقد اعترف اليهود في هذه الصحيفة بوجود سلطة قضائية عليا يرجع إليها سكان المدينة، بمن فيهم اليهود(ونرجح أنهم يهود الأوس والخزرج العرب)، مع أنّهم لم يُلزموا بالرجوع إلى القضاء الإسلامي دائما، إلا عندما يكون الحدث أو الشجار بينهم وبين مسلمين، أما في قضاياهم الخاصة وأحوالهم الشخصية فهم مخيّرون

٣٩ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨.

٤٠ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ص٨-٣٤٩ ظ.

بين أحكامهم والاحتكام إلى النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ جاؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة:٤٢). فمثلا أراد اليهود تحكيم الرسول ﷺ في خلاف بني النضير وبني قريظة حول دية القتلى بينهما، فقد كانت بنو النضير أعزَّ من بني قريظة، فكانت تفرض عليهم دية مضاعفة لقتلاها، فلما دخل الإسلام المدينة امتنعت بنو قريظة عن دفع الضعف، وطالبت بالمساواة في الدية فنزلت الآية ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة:٤٥)[٤١].

ولعلّ أهمّ رمزية للهجرة النبوية إعلان بداية التاريخ الإسلامي فكانت تحوّلا ومُنعطَفا مُهمّاً للدخول في عصر الإسلام، وبداية تاريخ الإسلام بتدبير النبيّ ﷺ، الذي أمر المسلمين أن يُؤرّخوا ابتداءً من شهر ربيع الأوّل، لوضع حدّ لتلاعب قريش بالتقويم القمري ومواقيت الحج والأشهر الحرُم عبر النسيء.. فكان لزاما أن تُعلِن الهجرة النبويّة بداية التاريخ الإسلامي واتباع تقويم جديد. ونذهب إلى أنّ ما شاع من أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي جعل هجرة النبي ﷺ مبدأ للتقويم الإسلامي الهجري القمري إنما كان باقتراح وتذكير من امير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الرابع، لأنّه بالعودة إلى مراسلات النبي ﷺ ومكاتباته المنبثّة في مختلف مصادر التاريخ والسيرة والحديث، يثبت أنّ النبي ﷺ سبق أن اعتمد حدث الهجرة مبدأ للتاريخ، وأرّخ رسائله وكتبه إلى أُمراء العرب وزعماء القبائل بالتاريخ الهجري، وهناك الكثير من المراسلات المؤرّخة قبل سنة ١٦هـ أو ١٧هـ. وقد تواترت الروايات التي تؤرّخ أيّام حياته والأحداث الإسلامية بهجرته، فقالوا: وقع كذا في شهر كذا من الهجرة، مثال ذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في شهر شعبان، ١٧ شهراً أو ١٨ شهراً للهجرة. وفي السنة الخامسة هجرية على الأقل، بعد غزوة الخندق، أمر النبي ﷺ بإحلال السنة الهجرية مكان الشهر الهجري، لمخالفة التقويم الخاص

٤١ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨.

باليهود بعد مخالفتهم وتغيير القبلة نحو الكعبة، وهناك العديد من رسائل النبيّ ﷺ ووثائقه التي تُؤيّد ذلك[٤٢ ٤٣]. وأكّد النبي ﷺ الإعلان عن التاريخ الإسلامي بشكل أكثر وضوحا في حجّة الوداع عندما خطب:« اليوم استدار الزمان كهيأته الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض» [٤٤ ٤٥].

لكي تكتمل الركائز الثلاثة للدولة مع الأمة والقيادة لم تغفل الصحيفة ركيزة الوطن، وجاء فيها:« وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة»، والمدينة هنا هي كناية عن مركز الدولة الإسلامية وعاصمتها التي أصبحت حرماً مقدسا لا يقل شأنا عن الحرم المكي الذي كان مركز الوثنية، وأصل التحريم أن لا يقطع شجرها، ولا يقتل طيرها، قال النبي ﷺ:« اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكّة أو أشدّ، وبارك لنا في مدّها وصاعها، وانقل وباها إلى مهيعه». فصرف الله تعالى ذلك عنهم وكأنه استبدل بهذه المناسبة اسمها يثرب، ومعناها المتقطّع أو الموبوء، إلى المدينة المنورة وطيبة، تفاؤلا باستبعاد الوباء والحمى عنها، كما أبعد عنها اسمها المتضمن لذلك المعنى المكروه.

أسست الصحيفة ودستور دار الهجرة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وحدّدت ركائزها الثلاثة: الأمة الواحدة، والوطن هو المدينة، وسلطة حاكمة يرجع إليها وتحكم بما أنزل الله، وأرى أنّ الأهم من كل هذا أنّ النبي ﷺ لم يضطر لاستخدام القوة ليفرض هذه النظم على العرب بدوها وحضرها، ولم يغصب أحدا عليها وخاصة من اليهود والمنافقين الذين يصفهم القرآن الكريم بأنهم مردوا على النفاق وكابروا في رفض الهجرة فتخلّفوا حول المدينة [٤٦ ٤٧].

٤٢ السبحاني،جعفر السيرة المحمدية، تر، جعفر الهادي (مؤسسة جعفر الصادق، ١٩٩٩)، ص ١٣٢.
٤٣ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٢٨.
٤٤ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ص ٣٥٦.
٤٥ رسول جعفريان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين (٢٠٠٥)، ص٢٢٦.
٤٦ عبدالملك(ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ص ٣٥٦.
٤٧ جعفريان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، ص٤٢٦.

٣- تنظيم النبي ﷺ لمجتمع دار الهجرة واقتصادها

أصبح رسول الله ﷺ رئيس الدولة، وفي الوقت نفسه الرئيس الأعلى للسلطة القضائية والتنفيذية والتشريعية والقائد العام للجيش، فقد تولى السلطات الثلاث بصفته رسول الله المكلف بتبليغ وحيه وتفسير كلامه، والسلطة التنفيذية بصفته الرسول الحاكم ورئيس الدولة، فقد تولى رئاسة الدولة وفق نصوص الصحيفة، وباتفاق الأطراف المختلفة من أهل المدينة، ممن شملتهم نصوص الصحيفة في المادة التي تقرر: «وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ»، ولهذا تأثير كبير في منعهم من محالفة قريش أو غيرها من القبائل المعادية. فالرسول ﷺ مرجعهم في الخلافات بين مختلف الأطراف في المدينة، وهو صاحب قرار الحرب، وهذا دليل قاطع على مكانة الزعامة التي تبوّأها الرسول ﷺ منذ دخوله المدينة، لينظّم العلاقات بين أفراد المجتمع المدني الجديد بمختلف فئاته بما في ذلك علاقاتهم مع المتهوِّدين، وفق مبدأ المواطنة وما يترتّب عليه من الحقوق والواجبات لمختلف المكوِّنات السابقة في يثرب..

أدّت هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنوّرة إلى زيادة الأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق أهل المدينة، باشر النبيّ ﷺ فور وصوله إلى المدينة، بناء المجتمع الإسلاميّ وتأمين معيشته على أساس النظام والعدالة، وهو بمنزلة دستور وميثاق للأمن والسلام والتعايش يلغي الفوضى القانونية في يثرب، ويعلن أن الحكم لله ولرسوله للفصل في كل أشكال النزاعات.

ويذكر أنّ من بين أكثر العوامل التي شجّعت أهل المدينة من الأنصار واليهود، على استقبال المهاجرين من قريش كونهم أهل تجارة وخبرة بالأسواق، فاقتضى نظام المؤاخاة الذي شرعه النبي ﷺ التوارث بين المهاجرين والأنصار، وأن يتعاونوا معاً لخدمة الإسلام كل على قدره. مثال المؤاخاة بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام.. وكان الأنصار أصحاب زرع وفلاحة، في حين كان للمهاجرين من قريش هجرة وانجذاب نحو التجارة، وكانوا إذا سمعوا أجراس عير، هرعوا نحوها يلتمسون خبرها. فكانت المؤاخاة مثلا بين عبد الرحمن بن عوف من

المهاجرين و سعد بن الربيع وكان من أكثر الأنصار مالاً، فقال سعد بن الربيع:» أقاسمك مالي نصفين وأزوّجك». قال عبد الرحمن:« بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوّني على السوق». فدلّوه على سوق بني قينقاع، فغدا اليه وما لبث أن جمع مالاً وصار من الأثرياء.. واستمر كذلك الحال حتى نسخ التوارث بعد معركة بدر بنزول الآية الكريمة ﴿**وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ**﴾ (الأنفال: ٧٥) [٤٨]. وكان المسلمون يعرضون بضاعتهم في أسواق اليهود، كما كان اليهود يشاركون المسلمين أسواقهم بالبيع والشراء وعرض بضائعهم، واهتم النبي ﷺ بتنظيم الأسواق ومراقبة البيع والشراء بوصفه نشاطا اقتصاديا حيويا لتجنّب التطفيف في الكيل والغش والاحتكار، ووضع ضوابط كثيرة على السلع المستوردة * [٤٩]. وحتى نتلمّس أهمية التجارة لدى المهاجرين نذكر أنّه لمّا أقبلت من الشام عير لدحية بن خليفة الكلبي أو لعبد الرحمن بن عوف، تحمل زيتاً أو طعاماً، وكان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما سمعوا بها، جعلوا يتسلّلون ويقومون إليها، خشية أن يسبقوا إليها فتباع، ولم يبق منهم بالمسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة. فلما نظر رسول الله ﷺ الى المصلين وقد انفضوا من حوله، وبّخهم وتلا ما نزل في حقهم ﴿**وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً**﴾ (الجمعة:١١) [٥٠]. ويتبيّن من مصادر السيرة أنّ الصحابة كانوا يتعاطون الصفق والتجارة، ونشطين جداً في التكسّب في الأسواق، فلا يكاد بعضهم يصل المدينة مهاجراً من مكة حتى يسأل عن الأسواق، فذهب بعضهم الى سوق بني قينقاع، فنجحوا فيها وحصلوا على ربح ومال أعالوا به أنفسهم. فالتهوا في السوق والتجارة ونسوا أمورهم الأخرى، وقالوا ألهانا الصفق بالأسواق ** [٥١].

٤٨ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨.
٤٩ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨-١٤٩.
٥٠ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٦٨.
٥١ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨-١٤٩.
* راجع أحكام السوق في كتب الحسبة وكتب الخراج والأموال مثال يحيى بن آدم، الخراج، ص١١٤
** ورد في الروايات أنّ:" المهاجرين كان يشغلهم صفق الأسواق.."

كان المسجد النبوي مركزاً للعبادة ومقرّاً لحكومته والتعليم والحُكم والإدارة، وأوّل مركز عُنيَ النبيّ ﷺ بإنشائه، لم يُمارس السلطة في المدينة إلا في المسجد. بحيث كانت وظيفته السياسية والعلميّة بالتوازي مع وظيفته الشرعية والتعبّدية، وكان الجانب الروحي والإيماني غالبا على مجالس النبي ﷺ [٥٢] [٥٣]. وبعد إتمام بناء المسجد بُنيت إلى جانبه حُجرتان، لتكونا مساكن لرسول الله وأهل بيته عليهم السلام. وبنى الصُفَّة بجانب المسجد لسكنى الفقراء والمهاجرين المحرومين، وكلف عبّادة بن الصامت بأن يعلّمهم الكتابة وقراءة القرآن الكريم.

فقد اقتضى وضع المدينة الدقيق، أن يحذَر النبي ﷺ والمسلمون عداء البيئة المحيطة بها من نفاق الأعراب البدو وتربّص قريش بها، فنصّت الصحيفة على أن «لا تجار قريش ولا من نصرها، دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنّهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين». فبناء على هذه الوضعيّة الأمنية الدقيقة فإنّ الدخول في عقده لا يعطيه الحصانة من المحاسبة، «وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم»، وأنّ البقاء في المدينة دار الهجرة أو الخروج منها شأن شخصي موكول لكل فرد دون إكراه أو إلزام، «وإن من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم»، ومن ثم أوضحت الصحيفة أنّ الحرب في حال نشوبها فإن الدفاع عن المدينة مسؤولية جماعية على كل فريق من فرقاء المدينة باستثناء اليهود عليهم أن يشاركوا بالنفقة مع المؤمنين [٥٤].

على الرغم من الهاجس الأمني ونشاط الدعوة فإنّ النبي ﷺ لم يكن يعتمد نمط انتاج مغازٍ، ولم يكن من أهدافه أن يرتزق من الغزو، أو تأسيس مجتمع ودولة عسكرية كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين لاسيما الجهاديون *[٥٥] ، بل كان النبي ﷺ

٥٢ أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ) علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، السيرة الحلبية ،إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ط٢ ج٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت)، . ص٧١.

٥٣ حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري [ت ٩٦٦ هـ]، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١ (المطبعة الوهبية، مصر – ١٢٨٣ هـ (وصورتها دور نشر مثل دار صادر – بيروت))، . ص٣٤٥.

٥٤ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٤٨–١٥٠.

٥٥ الشبلي، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، ص١٥٠.

* من مظاهر قوة الدولة النبويّة وصلابتها أنّه لم يبتدئ عدوا بقتال وإنّما كان جهاده دفاعيا.

يعدّ أصحابه على قاعدة «ما استطعتم من قوة» ليرهبوا عدوّهم ويأمنوا شرّهم، فلم تكن الهجرة من أجل القتال ولم تكن المدينة المنورة مجتمعًا عسكريًّا ولا الأمة متفرّغة للقتال والحرب الدائمة، بل اقتضت صحيفة دستور المدينة أن تخضع الحياة العسكرية لمبدأ التداول والتعاقب الدوري بين أفراد الأمة، «وإنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا».. فسرعان ما انقلب موقف اليهود وتصاعد أذاهم للرسول ﷺ وأسفروا عن عدائهم بمجرّد تحويل القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة أي بعد ١٧ شهرًا من الهجرة، وبعد ١٤ عاماً من التوجّه في أثناء الصلوات نحو بيت المقدس بأمر من الله تعالى *. فنزل الوحي ﴿**قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ (البقرة: ١٤٤)

يمكن عدّ تغيير القبلة نحو بيت الله الحرام من مظاهر الاستقلالية عن اليهود، كما أنّ اتّخاذ الكعبة قبلة، كان من شأنه كسب رضا العرب واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام، تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الأَصنام، خاصة أنّ الكعبة كانت موضع احترام العرب وتقديسهم وحتّى اليهود منذ أن رفع النبي إبراهيم عليه السلام قواعدها إلى أن جاء الإسلام. ﴿**وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ**﴾ (البقرة، ٣-١٤٤). وتؤكد صحيفة المدينة ودستور دار الهجرة النجاح الذي توفق إليه النبي ﷺ وسيادته على المدينة وإعدادها للمرحلة التالية أي التصدي لقريش وغيرها من الأعداء.. بعد أن أفاد أهل يثرب واقتصادها من وجود المهاجرين بينهم، ولكن مع تنامي سلطة النبي ﷺ وتوطّد أواصر المجتمع المدني حاول اليهود اللعب على التناقضات والثارات الجاهلية التي كانت متأجّجة بين الأوس والخزرج، والفتنة بين الأنصار والمهاجرين إلى أن استطاع الرسول ﷺ إخراجهم خاصة بعد معركة الأحزاب / الخندق. وتضررت تجارة

*راجع الآيات الكريمة التي نصّت على تحويل القبلة في سورة البقرة: ١٤٤.

قريش وتراجعت أرباحهم ومنافعهم المادية، بعد أن عوّر عليهم محمدﷺ متجرهم إلى حد الخوف من الحصار الاقتصادي، حتّى قالوا:« بقينا بمكة وأكلنا رؤوس أموالنا»، وقالوا: «وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا». ونجح النبيﷺ في استراتيجية الضغط على قريش التي كانت تتحيّن الفرص لاجتثاث دولته والقضاء عليها لأدنى سبب، وكانت قافلة أبي سفيان تعلّة لإعلان الحرب التي كانت قائمة بالقوة.

الخاتمة

كانت الهجرة النبوية إعلانا عن تكوين الأمّة الإسلامية العنوان الجامع الجديد للمجتمع الإسلامي، وجامعة أشمل من مختلف مستويات القبيلة التي قامت على العصبية والقومية الضيّقة. فأُسّست الأمّة الفتيّة على قيم اجتماعية-دينية وإنسانيّة جديدة فوق رابطة الولاء القبلي والعصبية الجاهلية، دون أن تلغيها نهائيا أو تتنكّر لها، بل هذّبت روابط القرابة بالنسب على أساس المؤاخاة في الله والمواطنة في حرم المدينة، ووجوب الهجرة والالتحاق بالمشروع الرسالي والولاية بين المؤمنين أفراد الأمة، على قدم المساواة التي أقرّها الإسلام، وهي من المبادئ التي أسهمت في بناء المجتمع المسلم، قال تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات:١٣)...

المصادر والمراجع

(ت٧١١هـ)، ابن منظور أبو الفضل التوزري، لسان العرب المحيط، ترتيب خياط،مادة(أمم) (دار صادر بيروت)

———، لسان العرب المحيط مادة (هجر)، ترتيب خياط (دار صادر بيروت)

أبوالحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو، صحيح مسلم (دار الكتب العلمية)

عبدالرحمن، ابن خلدون، المقدمة (١٩٩٠)

الريشهري، محمد، ميزان الحكمة (مكتب الاعلام الاسلامي)

السبحاني، جعفر، السيرة المحمدية، جعفر الهادي تر (مؤسسة جعفر الصادق، ١٩٩٩)

الشبلي، عبد الكريم، سيرة الرسول الأكرم ﷺ، عمل مرقون، ٢٠٢٤

عبدالقادر، سالمة محمود محمد، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة (دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)

القمي، محمد بن علي ابن بابويه، معاني الأخبار، (مكتبة الصدوق)

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت علي أكبر الغفاري، ج٨ (دار الكتاب الإسلامية طهران)

المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧ (دار الكتب الإسلاميّة)

المدائني(ت٦٥٦هـ)، ابن أبي الحديد ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥)

عبدالملك(ت٢١٣هـ)، الحميري ابن هشام أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام، ت الأبياري، ج ٢ (١٩٥٥)

جعفريان، رسول، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين (٢٠٠٥)

شعبان، محمد عبد الحي محمد، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ٢٠٠٨

علي، المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، صححه: الشيخ صفوة السقا، ط٥،ج١٦ (مؤسسة الرسالة)

الحلبي علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية ،إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ط٢ ج٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت)

البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (دار ابن كثير)

الدِّيار بَكْري حسين بن محمد بن الحسن [ت ٩٦٦هـ]، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١ (المطبعة الوهبية، مصر - ١٢٨٣ هـ (وصورتها دور نشر مثل دار صادر - بيروت))